# الفصل الخامس

## الأدب العبرى يكرس لثقافة الحرب

منذ اللحظة الأولى لميلادها سخر الأدب نفسه لتثبيت الأفكار الصهيونية وتشويه صورة العربى فى محاولة لإثبات مزاعمهم الكاذبة بأنهم شعب بلا أرض جاءوا ليسكنوا أرضاً بلا شعب.

وفى البداية لعب الأدب العبرى دوراً كبيراً لمحاولة رفع معنويات المهاجرين الأوائل خاصة بعدما شعر بكذب الشعار الصهيونى الذى أوهمهم بأنهم ذاهبون إلى أرض اللبن والعسل، لكنهم وجدوا أنفسهم فى جيتو أسوأ من الجيتو الأوربى الذى تركوه.

بعد ذلك بدأ الأدب يعبر عن أشكال المقاومة الفلسطينية التى رفضت المهاجرين الأوائل واصطدمت بهم، ومن ثم شكلت هذه المقاومة أحد الموضوعات الأساسية التى تناولها الأدب العبرى فى فلسطين فى البداية[1].

وبالطبع سخر الأدبُ نفسه لخدمة الأفكار الصهيونية وتعمدت القصص العبرية تشويه صورة العربى والتقليل من شأنه وإظهاره بصورة همجية وحشية[2].

وبالرغم من أن الأدب فى التجربة الإنسانية وعلى مر التاريخ الإنسانى الطويل كان – ولا يزال– وسيلة الإنسان للدفاع عن الجمال والخير والقيم الإنسانية النبيلة ونافذته للتمتع بالتجربة الإنسانية وسبر أغوارها والتعرف إلى أسرارها وآلامها وأفراحها فإن تجربة الأدب الصهيونى هى التجربة التى شذت عن مسار الأدب الإنسانى عبر تجاربه الطويلة الغنية. وقد تكون الأولى من نوعها التى توظف الأدب للقيام بعمليات تضليل كبرى تربى عليها أجيالا متعاقبة من الإسرائيليين معبأة بالكراهية والحقد واحتقار الآخر، مزودة بالأكاذيب والتاريخ المزور والأضاليل[3].

ومن ثم يصبح من الصعب على هؤلاء أن فقهوا معنى السلام أو أن يحترموا متطلباته وشروطه.

---

(١) دراسة د. محمد أبو غدير– سلسلة تحقيقات– آخر ساعة ٢ فبراير ٢٠٠٣.

(٢) المرجع السابق.

(٣) د. لطيفة النجار، مقال ٧– ٦– ٢٠٠٦ على موقع المجموعة ١٩٤.

والأدب العبرى أو الكتابات العبرية بصورة عامة هى ثمرة لعقلية إسرائيلية تختزل فى داخلها تجارب وخبرات مختلفة مرت باليهود منذ ظهورهم فى المنطقة الممتدة ما بين بلاد النهرين وحتى فلسطين الحالية تحت مسميات شتى تبدأ بالعبرانيين ثم اليهود وأخيراً الإسرائيليين[1].

وقد امتدت هذه المسيرة قروناً عديدة اصطدم اليهود خلالها بأمم وشعوب بادلتهم العداء والكراهية بسبب تمسك اليهود بمجموعة من المعتقدات والأساطير التى تجعلهم شعباً مميزاً لا يشبه الآخرين فى شىء حتى اعتبروا أن الله سبحانه تعالى هو رب اليهود فقط، وأنهم شعب الرب، أما الآخرون فهم من وجه نظرهم خارج هذا الإطار الذى يجمع بينهم فقط وبين الرب فى علاقة أزلية يحدد مسيرتها ويوجهها ما يسمى بالميثاق أو العهد الموقع بين رب إسرائيل وشعبه[2].

من هنا نرى أن اليهود عبر التاريخ قاموا بتحديد إطارها حتى لا يجمعهم بالأغيار من غير اليهود، والذين هم من وجهة نظرهم- بعيدون عن رحمة الله ومحبته، وكان طبيعياً أن يؤدى هذا إلى نوع من القطيعة أو الريبة المتبادلة بين اليهود وشعوب العالم كافة. وساعد على ترسيخ هذا النهج، ما تعرضت له الجماعات اليهودية خلال قرون من تجوالها فى أوروبا من ممارسات اتسمت فى بعض الأحيان بالشدة والغلظة، والتى نبعت فى أغلب الأحوال من العداء المختزن فى قلوب المسيحيين تجاه اليهود باعتبارهم من نسل هؤلاء الذين تربصوا بالمسيح عيسى بن مريم وكانوا سبباً فى النهاية التى آل إليها[3].

وإلى أن بدأت الهجرات الصهيونية الحديثة إلى فلسطين منذ بدايات القرن العشرين لم يكن المسلمون يحتلون فى الكتابات اليهودية ما احتله غير المسلمين، فحتى هذه الفترة لم يكن المسلمون من المتربصين باليهود أو المطاردين لهم فى كل زمان ومكان، بل اعترفت الأدبيات اليهودية بفضل المسلمين على اليهود نظراً لمعاملتهم معاملة إنسانية كفلت لهم العمل الجسمانى والعقلى، اليهودية تجربة تامة أثمرت صدور العديد من المؤلفات اليهودية التى تعترف فى كل صفحة من صفحاتها بفضل المسلمين تسامحهم مع اليهود[4].

ولخص المفكر الإسرائيلى المعاصر «وان بار أون» النظرة الإسرائيلية اليهودية المتوارثة إلى الأغيار عامة والمسلمين خاصة حين قال: بأنه من المتعارف عليه أننا نحن اليهود تحدد الموقف الخاص

---

(١) د. محمد أبو غدير- المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

بنا تجاه الأغيار من غير اليهود، وقد تغير هذا الطرف وتبدل بمرور الوقت إلى أن بات العرب أو المسلمون هم الطرفَ الآخرَ الأساسى والعدو الأول لنا[1].

وسبب هذا التحول فى الموقف الصهيونى من العرب والمسلمين هو الصراع الذى تفجر فى فلسطين بسبب الهجرات اليهودية والمخططات التى استهدفت إقامة وطن يهودى على أرض فلسطين، حتى إن هذا الصراع الذى تفجر على أرض فلسطين شكل فى نظر المؤرخين اليهود مصدر الدفع الرئيسى لبناء المجتمع الاستيطانى اليهودى فى فلسطين، أو كما ذكر دكتور إسرائيل لنداس من أن المجتمع اليهودى الحديث يدين بالشىء الكثير للصراع اليهودى العربى الإسلامى حتى إن الحركة الصهيونية نبذت فكرة الصراع المتوارثة مع الآخرين وجعلته قاصراً على العرب الذين يقفون فى وجه مخططاتها فى المنطقة[2].

وما إن وطأت أقدام المهاجرين اليهود أرض فلسطين أوائل القرن العشرين حتى اصطدموا بمقاومة فلسطينية ورفض متعدد الأشكال لهذا الزحف الذى يهدد مستقبل بلادهم، لذلك شكلت المقاومة الفلسطينية المدعومة عربياً أحد الموضوعات الأساسية التى تناولها الأدب العبرى فى فلسطين.

فكان مطلوب من الأدب العبرى- فى تلك الفترة- القيام بدور لرفع معنويات المهاجرين اليهود خاصة بعد أن شعر بعضهم بكذب الشعار الصهيونى القائل بأنهم ذاهبون إلى أرض بدون شعب، أرض الآباء والأجداد، أرض اللبن والعسل، لذلك بدأ بعضهم فى العودة إلى البلاد التى قدموا منها بعد أن شعروا أنهم تركوا الجيتو الأوروبى ليجدوا أنفسهم فى جيتو آخر أسوأ منه. من هنا عمل الأدب فى ذلك الوقت- على تشويه صورة العربى- والذى اختزل فى مصطلح المسلم- والتقليل من شأنه، فالعرب أو المسلمون فى القصص العبرية التى ظهرت قبل قيام إسرائيل هم قوم متخلفون لا يهتمون بنظافة أجسادهم ولا يعرفون الرحمة أو الشفقة يقتلون اليهود ويسرقون ممتلكاتهم[3].

وبرز الأديب موشيه سمبلا نسكى فى هذا المجال وجعل من العرب المسلمين قوم غير متحضرين حتى إن بطل قصته التى تحمل عنوان «سافك الدماء» هو شاب مسلم يعشق ابنة شقيقه الأكبر التى تبادله العشق والغرام وتتفق معه على الزواج، لتتحول هذه القصة إلى أحاديث يومية يرددها جميع أهل القرية التى يعيشون فيها، بل ويتعاملون معها كأنها شىء طبيعى

(١) المرجع السابق.
(٢) المرجع السابق.
(٣) المرجع السابق.

متعارف عليه وشائع فى الوسط الإسلامى، ويسهب الكاتب فى الحديث فى تفاصيل هذه العلاقة ويتحدث عن المرأة المسلمة كأنها دمية تباع وتشترى[1].

موقف سمبلا نسكى لا يقتصر فقط على تلك القصة وإنما تكرر ذلك فى العديد من قصصه التى تم جمعها فى ثلاثة مجلدات ضخمة حملت عنوان «أبناء العرب».

وإذا كان سمبلانسكى أظهر المسلمين على أنهم قوم متخلفون فإن الأديب «إسرائيلى زرحى» فى بعض أعماله أظهرهم فى صورة البشر الذين لا يعرفون معانى الإنسانية ولا يراعون حرمة الموت. فيصف فى إحدى قصصه كيف تصرف سكان إحدى القرى الفلسطينية مع جثث مجموعة من القتلى سقطوا فى معركة وقعت بين الأتراك والإنجليز أثناء الحرب العالمية الأولى- فجاء فى روايته:

أخذ المسلمون يتسللون إلى حيث تتناثر جثث القتلى من البريطانيين والأتراك ليجردوهم من كل شىء ثمين، بل كانوا يقطعون أصابعهم التى بها خواتم ذهبية أو يقتلعون الأسنان المصنوعة من الذهب من أفواه القتلى[2].

وعلى هذا المنوال سار أغلب الأدباء العبريين فى تعاملهم مع الإنسان العربى أو المسلم الذى احتل فى أعمالهم القصصية والأدبية نفس الوضع الذى كان يحتله المواطن المسيحى الأوربى قبل بدء الهجرات اليهودية إلى فلسطين، حتى إن أحد المفكرين الصهاينة يعلن بكل صراحة «ألم يكن على بنى إسرائيل أن يحاربوا أو يقاتلوا أهل فلسطين القديمة بعد خروجهم من مصر من أجل السيطرة على الأرض وزراعة كرومها؟ وينتهى بالقول لولا ما فعله اليهود فى فلسطين من العصر الحديث، لما تسنى لهم زراعة كرومها من جديد وفلاحتها[3]».

وكان من المنتظر أن تتغير طريقة تناول الأدب العبرى بعد قيام الدولة، وبعد أن أصبح لليهود وطن خاص بهم ولديه مؤسسات وأجهزة عسكرية ومدنية، ولم يعد سكان إسرائيل يعيشون بين أغلبية غير يهودية تحيط بهم من كل جانب كما كان الوضع فى مرحلة ما قبل الهجرات اليهودية إلى فلسطين وقيام الدولة، لكن ما حدث هو العكس حيث اتسع مجال تناول شخصية العربى المسلم فى الأدب العبرى ليشمل إلى جانب الفلسطينيين أولئك العرب الذين ينتمون إلى العالم العربى المحيط بإسرائيل، والذى خاض معارك ١٩٤٨ والحروب الأخرى التالية[4].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

وتحولت نظرة الأدب العبرى للفلسطينى من إنسان محارب إلى إنسان مستضعف فقد الجزء الأكبر من وطنه، ورحل غالبية أهله إلى الضفة أو القطاع أو هاجروا إلى الدول العربية المجاورة، فأصبح إنسانا بلا وطن وبلا هوية، بعد أن صورته رواياتهم الأولى باعتباره محاربا متربصا باليهود ومهاجماً لمستعمراتهم وقواعدهم العسكرية[1].

ولعب الأدب العبرى دوراً كبيراً فى خلق رأى عام مؤيد لإسرائيل. فقد خدمت رواية المؤلف- أكسودس (الخروج) الدعاية الصهيونية وإسرائيل أكثر من أى كتاب سياسى، ولعل الأثر النفسى الذى أحدثته كتابات وروايات «نبسكر» وهرتزل وأحادها عام لا يقل أهمية عن أثر كتاباتهم السياسية والأيديولوجية. كما ركزت جورج أليوت اهتمامها فى كتابها «دانييل ديروندا» على تفسير اصطلاح شعب الله المختار. وهى ترى أنه يعنى أن الله اختار اليهود لينقذوا الإنسانية، فوجود اليهود هو وجود فى سبيل الشعوب الأخرى. ويذهب البعض منهم أيضاً إلى القول بأن أسبقية الدين اليهودى تعطى للإنسان اليهودى أسبقية فى الوعى والقيمة على بقية البشر.

ويتمتع البطل اليهودى فى قصص العبرى بقدرات خارقة وبطولة غير عادية. ويمكن للمرء أن يدرك ذلك فى ضوء كون الإله يقف إلى جانب هذا البطل ويحقق له المعجزات، أما أن يظل هذا البطل كذلك فى الأدب المعاصر فهذا ما لا يمكن للمرء أن يستوعبه، لكن يبدو أن الروايات الصهيونية وضعت قاعدة البطولة والبطل المعصوم والمتفوق والتى تظهر فى كثير من الأعمال الأدبية، حتى البطلات اليهوديات يظهرن أيضاً جميلات متناسقات جسدياً، حتى الشخصيات المعوق جسدياً- تعانى من العرج مثلاً- فإن هذا العرج اليهودى له سحر خاص- يحمل رسالة تنوير ويتميز بالشجاعة والتضحية يحب البناء والعمل ويكره الكذب والظلم ويتميز بالنقاء والتفوق الأخلاقى.

وصورت القصص العبرية بين ١٩٤٨- ١٩٦٧ العربى فى أبشع صورة فقد كان العربى فى الأدب العبرى يشكل كابوساً مزعجاً تسيطر عليه نزعات الشر والعدوان ويهود كيان إسرائيل وحضارتها.

وصورة العربى عند الكاتب الإسرائيلى « هودا بورلا» مجرد من الشعور القومى فيه جشع للمال يميل إلى الخيانة كى يحصل عليه، بينما اليهودى مضح منكر للذات مخلص فى أداء واجبه، والعربى حيوان.

ويصور الأدب العبرى أيضاً العربى باعتباره شرها للجنس وتوجهه للمرأة هو توجه جنسى مجرد يهدف إلى الإشباع فقط لذلك فهو مزواج متعدد الزوجات.

كما يظهرهم أيضاً فى صورة البدناء المترهلون تتدحرج كروشهم أمامهم إن مشوا، سحنتهم داكنة قبيحة المنظر، وهى مرتع خصب للجدرى والملاريا والجذام وأمراض أخرى.

---

(١) المرجع السابق.

وقـد وصل الأمر ببعض الكتاب أن وضعوا اليهـودى إلى درجة قريبة من مرتبة الإله! أما الصهيونـى فنصف إله حيث يتميز بالقوة والنضال والجـرأة والعدل، وهو معصوم من الخطأ مستقيم، يثير الاحترام ومشاعر الهيبة والجلال والإعجاب فى النفوس، رومانتيكى، متفائل، مُضَحّ غير أنانى يفكر فى غيره قبل تفكيره فى نفسـه، وهى شـخصية أيضاً نبوءته تحمل إلى جانب حكمة القرون التى مضت توقعات المستقبل الآتى[1].

وهو على استعداد دائم للدخول فى صراع مر مع العالم من أجل العدالة وهو لا يناضل من أجل نفسه بل من أجل العالم، وهو يطلب الخير حتى لأعدائه[2].

أما الفلسطينى فقد ظهر فى أغلب القصص العبرية مهزومًا ضعيفًا، يعمل على توفير القوت له ولأسـرته، وظهر فى قصص أخرى فى صورة العميل للدول العربية المجاورة يتسـلل إلى إسرائيل ليقوم ببعض العمليات التخريبية ثم يعود لنفس الدولة التى جاء منها[3].

أما الفلسـطينى الذى بقى داخل إسـرائيل فقد صوره الأدب باعتبـاره مواطناً من الدرجة الرابعة داخل المجتمع الإسرائيلى، حددت له أنواع معينة من الحرف والأعمال المتدنية التى لا يرغب اليهود القيام بها[4].

بعـد حرب ٦٧ وما تبعها من تلاقى وتواصل بين الفلسـطينى فى إسـرائيل وأقرانهم فى الضفة والقطاع، دخل الأدب العبرى فى تناوله لشـخصية الفلسـطينى مرحلة جديدة حاول خلالها تخليق إنسـان جديد وتصويره بعد أن فقد كل مقدراته المالية وخابت آماله فى الأمة العربية التى خذلته فلم يعد أمامه إلا إسـرائيل كمصدر رزق وحيد، من هنا أظهرته الأعمال الأدبية فى صورة الإنسان المستأنس الذى انخرط تماماً فى منظومة المجتمع الإسرائيلى[5].

لكـن مـن الملاحظ أن حرب إسـرائيل على لبنان عام ٨٢ كان لها أكـبر الأثر على الواقع الثقافى الإسـرائيلى، انعكس ذلك على الأعمال الأدبية فأسـفر عـن ظهور نتاج أدبى جديد يرصد الظواهر المناهضة للحرب.

وتفجر هذا النتاج الأدبى المعارض تفجيراً هائلاً مقارنة مع ما أفرزته سائر حروب إسرائيل مـن نتاج مناقـض، والتى فرضت على الأدب قيوداً تحت ما يطلـق عليه «الإجماع القومى»

---

(١) المرجع السابق.

(٢) د. محمد أيوب- المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

الـذى يفرض على الجميع الانطواء تحت راية المدافع. أو المحاولات المحدودة التى قام بها قلـة من الأدباء للخـروج عن خط هذا الإجماع فقد قوبل بحملة شرسـة محرضة عليه كانت كفيلة بخنق صوته[1].

فالأديب عاموس عوز والذى كان من بين أوائل الذين رفعوا أصواتهم ضد نظرية الضم والاحتلال وضد اضطهاد الشعب الآخر، بدأ يهدأ صوته وكذلك الأديب فيرهارسمبلانسكى والذى كان واحداً من أشد الساخطين شتاء ٦٧ خف صوته هو الآخر، ولم تكن الحالة التى وصل إليها هذان الأديبان نتيجة مباشرة للهجوم والتحريض الذين تعرضا إليها فحسب، وإنما أيضاً بسبب اليأس والشعور بالعجـز وعـدم الثقة بقدرة الأديب الفرد على تغيير الأمور التى يصنعها وزراء وجنرالات وصحف وأحزاب بقوى مؤتلفة مستغلة لذلك كل الوسائل الحكومية التى فى حوزتها[2].

وكان من الملاحظ أن الأدب الاحتجاجى الذى أفرزته الحرب الإسـرائيلية على لبنان انصرف عـن الهموم الفنية الخالصة إلى هم مخاطبة جمهور قرائه بشـكل مباشـر، بهـدف التأثير على وعيهم السياسـى ودفعهم باتجاه اتخاذ مواقف محددة نقيضة للحرب والعدوان وسـقوط الإنسان فى الإنسان[3]

وتميز الأدب العبرى فى تلك الفترة بعدة مميزات: أولها أنه أدب احتجاجى خرج عما يطلقه السـمات الرسمية للوثيقة الأدبية الإسـرائيلية والتى تميزت بعدة سمات أولها التدخل فى حرية التعبير الأدبى الإسـرائيلى، إذا ما جنح إلى مخالفة جوهر أهداف السلطة الإسرائيلية الحاكمة، وهى سمة تسـتهدف تجنيد الأدباء الإسرائيليين بالإغراءات والضغوط من أجل الدعوة إلى مفاهيم السياسة الإسرائيلية ومرتكزات الفكر الصهيونى عموماً.

ثانياً: الأدب فى إسرائيل يواكب أهداف السلطة ويدق لها الطبول وهو أداة فى يدها لتحريك الجماهير اليهودية، وهو أدب يحمل سمات الصنعة والافتعال.

وثالثاً: هو أدب يتحرك فقط لخدمة الدعوة الصهيونية، لما يسمى القومية اليهودية وارتباطها التاريخى بفلسطين[4].

وإن كان صـوت أدب الاحتجاج الإسـرائيلى قد ارتفع صوته بعض الوقت، وفوق كل شـىء إلا إنه يصعب الجزم الآن بأنه أدب جماهيرى على رغم كونه قد حمل قضية الجماهير وجسـد

---

(١) أسطورة التكوين (الثقافة الإسرائيلية الملفقة) أنطوان شلحت.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

عذاباتها وطموحاتها، فهو لم يكتسب شرعة (الشارع الأدبي) وإن كان يمارس على نطاق ضيق للغاية دوراً فعالاً في التأثير على الواقع يوازي موضوعياً عملية خدش صخرة صماء[1].

لكن يبدو أنه حتى هذا الدور له حدود وهو ما ظهر بشكل واضح في رواية «الطريق إلى عين جالوت» للكاتب الإسرائيلي عاموس كنيان، فبالرغم من أنها تندرج تحت ما يسمى بالأدب الاحتجاجي أو «أدب القسوة الإسرائيلي» الذي أفرزته حرب الإبادة على الشعب العربي الفلسطيني في لبنان، وبالرغم من خروجه من منظور الأدب الصهيوني الكلاسيكي، إلا أن الكاتب لم يصور الإنسان العربي أو القضية العربية بشكل محايد، وظهر إصرار واضح على التأكيد «بأن لليهود حقوقاً تاريخية في فلسطين».

وظهر واضحاً أيضاً في الرواية إعجاب المؤلف الشديد بالعسكري الإسرائيلي المتشبث بعنفوانه وعجرفته، ومناقضاً له ثم تصوير الجنود السوريين (ويراد لهم استيحاء صورة متكاملة للعسكريين العرب) في هيئة القساة المتوحشين غلاظ القلوب وهي مقارنة تخفي عنصرية ذات رؤية أشد رجعية في تبرير التفاوت الحضاري للمجتمعات على أساس انتماء الشعوب إلى أجناس عليا وأخرى دنيا فاتجه الباب بذلك لمفاهيم استعمارية من نوع خاص تغفل الزمان والمكان وتختزل التاريخ والحضارة[2].

وتأتي رواية «نادية» للكاتبة غليلة رون فيدر والتي تحكي قصة فتاة عربية تتلقى تعليمها في مدرسة يهودية تصنف بدورها كواحدة من روايات الأدب الاحتجاجي إلا إنها هي الأخرى تقدم رؤية فوقية إزاء العربي بعد ممارسة عملية تكوين مصطنع بحقه على حساب طمس قسمات وجهه ومعالم وجوده وفي اتجاه تدعيم الكيان الخاص بإسرائيل[3].

في ضوء ذلك يمكن القول بأن رواية «نادية» كتبت أساساً وبشكل رئيسي لإعادة صياغة العربي الفلسطيني المقيم في إسرائيل صياغة روحية ونفسية وقومية لتزيين الدعوة إلى ذوبانه في المجتمع اليهودي[4].

فنادية منغلقة داخل الإطار الإسرائيلي تمارس دورها فيه بوصفها جزءاً من أقلية مغلوبة على أمرها، وحركتها مرتبطة تماماً بحركة اليهودي المتنور، هذه المعادلة تقول بلا مواربة: إن على العربي في إسرائيل العمل على تحقيق وجوده الخاص داخل المجتمع الإسرائيلي وأن يطرح

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

عنه كل الحقائق التاريخية، معنى هذا أن الرواية تصادر الهوية القومية للشخصية العربية فى مقابل اغتصاب الأرض واغتصاب حقوق أصحاب الوطن الشرعيين وأولها حقه فى العودة إلى وطنه الشرعى[1].

ولعل قراءة سريعة للرواية تقدم صورة العربى الإسرائيلى الجديد وبطاقته الشخصية ليس كإنسان يسأل وإنما كإنسان يسرق[2].

فنادية الفلسطينية ابنة الرابعة عشرة تقرر أن تصبح طبيبة، وفى سبيل ذلك تغادر قريتها وتتجه إلى مدرسة يهودية داخلية وتردد فى نفسها: سأصبح طبيبة، وعلى أن أسجل فى الجامعة العبرية فى القدس، وأعد نفسى للتعلم فى مدرسة ثانوية يهودية، وهكذا فقط ستكون للشهادة قيمة مغايرة. وفى انتقالها إلى المدرسة اليهودية تخلى نادية العربية عن مكانها لنادية الإسرائيلية المعاصرة التى كانت إسرائيل بالنسبة لها تعنى التقدم والتفوق ولا يتأتى ذلك إلا بعد اقتلاع الجذور العربية والذوبان فى الثقافة الإسرائيلية.

رواية نادية تعزز الاتجاه الرافض الذى يكون ذاته وكذلك العربى الذى يطالب برفع القيود التى تحول بين العرب وبين الاندماج فى المجتمع الإسرائيلى الذى يعيشون فيه على أساس الاعتراف بحق شعبه التاريخى بالعودة إلى وطنه الشرعى وإقامة دولته المستقلة.

وأفرز العدوان الإسرائيلى على لبنان- ١٩٨٢ نوعين من الأعمال الإبداعية أحدهما تحلى بواقعية والثانى ظل يعانى التأزم بتأثير الأزمات التى توالت على الصهيونية.

من بين الكتاب الذين تحلوا بالواقعية فى تلك الفترة- يهودا يعرى الذى جاء فى كتابه «صوتاً من السكون».

[يصبح من الواضح أن يستحيل إيجاد حل بالقوة لأمر يستحيل حله بالقوة لا يتم إحراز السلام بالقوة مثلما أن الحب لا يتم تحصيله بالقوة، كذلك الأمر بالنسبة للحبيبة والجيرة الحسنة لا يمكن تنصيب رئيس بالقوة وبالقوة لا يمكن نشر الفرح.

الذى يمارس الذبح مصيره أن يمارس الذبح به ذات يوم والذى يجيز الذبح تقوده حياته فى النهاية إلى هوة سحيقة والذى يسيطر بقوة الحراب ستنغرز الحراب فى مؤخرته ذات يوم الذى يقطع المياه عن الأولاد تنقطع مياهه عنه وعندما يصرخ الكارثة الكارثة سيجيبونه للسان «الكارثة»][3].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) شلحت- المرجع السابق.

هكـذا ظهرت كتابات تناهـض الحرب والقتل بمنطق يميل إلى اليأس من إيجاد مخرج تحت علامـات اسـتفهام كبرى ماذا بعد؟ وإلى أين يقودنا العار؟ مـاذا يمكننا أن نفعل،يظهر ذلك فى قصيدة الشاعر أربيه سفيان يقول فيها:

ماذا يفعل شاعر يشك بأن ملكه ليس سوى الشيطان؟
يجلس على طاولته وينظم قصيدة جيدة.
يذهب بعيداً يغنى ويضع شهادته.
ويعطى من خلالها تعبيراً رمزياً من شأنه.
وبأسلوب الكشف والتستر الدقيق.
جرياً على فهم القصيدة الصحيحة.
أن يظهر الجرعة الزاحفة عليه مثل أفعى سام.
يقرأها الذين يفهمون يتمزقون ألماً.
يشكرون الشاعر بنفس صاخبة على قصيدته الرائعة حتى العظم.
وفى هذه الأثناء يبقى الشيطان واقفاً.
يخطط لمؤامرة رهيبة[1].

وإذا كانت القصيدة تدعو إلى الرفض والتذمر فإنها فى النهاية تشير إلى الانخراط فى الإجماع القومى الصهيونى.

وعلى إثر المذبحة البشـعة فى مخيمى صابرا وشـاتيلا أفرز المجتمع الإسـرائيلى نوعين من الثقافة كما حددها الكاتب الإسـرائيلى عامـوس إيليون- هما ثقافة الذين بقيت فى عروقهم ذرة من إنسانية وثقافة الذين يمجدون «سياسة المجازر والقتل والتدمير».

من بين كتاب المجموعة الأولى:

الشـاعر والكاتب السـاخر الإسرائيلى يهوفتان بتفين الذى كتب يقول: المرة الأولى فى حياتى أشعر بالخجل لكونى مواطناً فى دولة إسرائيل. دولة ينعدم فيها القلب والعقل وتبقى العضلات والأكاذيـب. هـل حضارتنا للأغيار هى القنابل المضيئة للجزارين؟! لن تفلت من العقاب يا وزير الحربية فليس جميعنا سـاذجاً وليس جميعنا أعمى وليـس جباناً، نحن خجلون ولهذا خرجنا إلى الشوارع.. إننا نفخر بانتسابنا إلى معسكر الخجل «إلى معسكر الكذب» بالسيد بيجن، لقد آن الآوان لأن تستيقظ وتقيل حكومة الظلام وفى كل مناسبة تقول أولادنا.

---

(١) شلحت- المرجع السابق.



obeikandl.com

فمن أجل أولادنا نقول: دع أولادنا يكبرون بدون وصمة قايين. ومن أجل أولادهم- أفعل شيئاً- فأولادهم هم أولادنا أيضاً. قنابلنا المضيئة ليست مناراً للأغيار وإنما موت للأغيار وعارٌ لليهود، إننا خجلون وخجلنا هو لجنة التحقيق معكم.

إلا أن هذه الأصوات ظلت ضعيفة وأقل تأثيرا من تلك التى تدعو إلى الإبادة والعنصرية وهو ما حدث أيضا بعد الانتفاضة الفلسطينية الأولى التى تفجرت عام ١٩٨٧، وما أسفرت عنه من وجه فلسطينى مقاوم وصامد أمام قسوة وشراسة القوات الإسرائيلية وهو ما دفع الأدب العبرى إلى تغيير نظرته ورؤيته عند تناول شخصية الإنسان الفلسطينى الذى استخدم الحجارة فى مواجهة الأسلحة الحديثة التى يمتلكها الجيش الإسرائيلى، من هنا ظهر تيار أدبى جديد يعرف «بأدب الانتفاضة» تناول تأثير تلك الانتفاضة على الفلسطينيين والإسرائيليين على السواء، وعبر عن مدى خوفه من المستقبل الغامض الذى تنتظره إسرائيل إذا ما استمرت هذه الانتفاضة[١].

وقد برزت العديد من الأعمال القصصية العبرية التى حذرت من أن التاريخ يعيد نفسه من جديد، وأن داوود الذى فاز على خصمه جوليات بالمقلاع ظهر الآن من جديد فى صورة الشاب أو الطفل الفلسطينى الذى يتصدى للإسرائيليين بالحجارة والمقلاع[٢].

من هنا شكل الأدب العبرى فى سنوات الانتفاضة الأولى مصدر إزعاج للسلطات الإسرائيلية، وحذرها من أن الاحتفاظ بالمناطق الفلسطينية، واحتلالها ليس فى صالح إسرائيل بسبب القنبلة السكانية التى يشكلها التواجد الفلسطينى، إلى جانب إظهار إسرائيل فى صورة القوة الاستعمارية لتطبق نفس الوسائل التى ادعت أن أعداء اليهود استخدموها ضدهم فى أوربا خلال الحرب العالمية الثانية وما قبلها[٣].

وأثرت الانتفاضة فى شكل ومضمون الأدب العبرى وجعلته يلجأ إلى استخدام عنصر الأسطورة فى تناوله للإنسان الفلسطينى وكأنه مخلوق قادم من كوكب آخر، مخلوق لا يخشى الدبابات أو الطائرات ويتصدى لها بصدره العارى وبمجرد حجارة يمسكها فى يده، إلا أن إيمانه بقضيته وحتمية انتصار إرادته زادت من قوته وصموده، ومن أبرز الأعمال القصصية التى عكست هذه الرؤية رواية «جذور فى الماء» للأديبة روث الموج، والتى أكدت فيها على استحالة تحقيق أى تعايش إسرائيلى فلسطينى فى ظل استمرار الاحتلال الإسرائيلى لجميع أراضى فلسطين،

---

(١) د. محمد أبو غدير- آخر ساعة.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

وانتهت إلى أن الخلاص أمام الإنسان اليهودى يتمثل فى الانتقال إلى خارج إسرائيل والاستقرار فى مكان آمن[1].

من المؤكد أن روث تعد حالة نادرة وشاذة فى إسرائيل، فقد ذهبت بأفكارها وخيالها إلى أقصى ما يمكن أن يحلم به أشد المتفائلين العرب بوضع نهاية للصراع العربى- الإسرائيلى برحيل الصهاينة عن أرض فلسطين، وأعتقد أنه لولا الديمقراطية التى ننعم بها فى إسرائيل لتعرضت للمحاكمة بتهمة الخيانة العظمى للمبادئ الصهيونية.

لكن بالطبع يبقى صوت هذه الكاتبة مجرد نغم شاذ وسط صخب الأصوات الأكثر قوة فى إسرائيل، والتى تؤمن بحتمية الحرب ضد العرب لينتهى الأمر بإبادتهم.

فالعنصرية هى السمة المميزة للمجتمع الإسرائيلى، ولا يشذ الأدب عن تلك القاعدة، وليس أدل على ذلك من «الصراع الدائر الآن داخل إسرائيل» بين اليهود الشرقيين والغربيين، هى حرب يرصدها الأديب الإسرائيلى العراقى الأصل (سمير النقاش) على أنها حرباً ثقافية وأدبية وليست حربا اجتماعية أو طبقية أو سياسية فقط، والغلبة حتى الآن لصالح الثقافة الغربية، ومن غير المحتمل مستقبلاً أن تتساوى الثقافتان فالإشكنازيم- اليهود الغربيون- لا يتصورون وجود أديب يهودى يكتب باللغة العربية مثلاً[2].

ولم يكتف اليهود الغربيون من مصادرة اللغة العبرية ونفى أصلها الشرقى، بل عمدوا أيضاً إلى تغيير نطق بعض حروفها غير الموجودة فى اللغات الأوربية حتى تبدو مناسبة لرغبتهم العنصرية فى اعتبارها رمزاً للانتماء إلى إسرائيل التى يرفضون أن يكون أى وجه من وجوهها شرقى الأصل.

وإذا كان موقف يهود إسرائيل الغربيين على هذه الدرجة من العنصرية تجاه ثقافة يهودها الشرقيين، فإن موقفهم من ثقافة السود ولا سيما الإثيوبيين المعروفين بـ (الفلاشا) هو أشد عنصرية لأنه يقوم على عدم الاعتراف بأية ثقافة خاصة كانت لهم قبل تهجيرهم إلى إسرائيل، وهو ما يؤكده الكاتب الإسرائيلى مردخاى أرتستلى بقوله: «ما يزال باقى سكان إسرائيل يعتبرون الإثيوبيين أناساً بدائيين عديمى الحضارة والثقافة أو هم أقرب إلى قبيلة من الأفارقة السود الذين يحاولون إيجاد وسيلة للاندماج فى سكان إسرائيل البيض الذين مازالوا يعارضون مثل هذه المحاولة، بل وحتى إذا وجد بين اليهود الغربيين من يعترف بامتلاك الفلاشا ثقافة خاصة فإنها تظل من وجهة نظر الإشكنازية العنصرية مجرد ثقافة بعيدة ومتخلفة يبدو أصحابها لباقى سكان إسرائيل كأناس معقدين ومتخلفين[3].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) محمد توفيق الصواب التجريد العربى/ شبكة المعلومات.

(٣) المرجع السابق.

وهو ما يعنى على حد قول الكاتب الإسرائيلى (نال شاحف) أن على الإثيوبيين أن ينسلخوا عن ثقافتهم الأم وأن يذوبوا تماماً فى ثقافة إسرائيل الغربية لكى يصبحوا إسرائيليين صالحين[1].

وفى ظل العنصرية التى يتسم بها المجتمع الإسرائيلى والتى تتحكم بشكل صارخ فى رسم سياستها، من الصعب أن تتصور إمكانية تحقيق السلام، فمزاعم التفوق العنصرى تبدو وكأنها قاعدة وأمر ملم يؤمن به غالبية الإسرائيليين، لذلك لم نلمس حتى الآن أثراً واضحاً لعمل فكرى أو أدبى يطرح صورة مغايرة، فما زالت صورة العربى فى النتاجات الفكرية والأدبية لا تخرج عن تلك الشخصية النمطية المنفرة التى تحتشد كل الملامح السلبية المنفرة فى توصيفها[2].

وباعتراف الباحث الإسرائيلى الدكتور حزاى بوروش فإن شخصية العربى فى كتب التدريس والأدب الإسرائيلية لم تتغير ملامحها السلبية، فقد ظلت تلك الشخصية النمطية المشوهة واللاواقعية إلى حد بعيد، الأمر الذى ساهم فى شحن نفسية الإسرائيليين بكراهية العرب وكراهية العملية السلمية، وكل ما يمت بصلة، لأنها تعنى فى أحد نتائجها المحتملة إمكانية التعايش على نحو ما مع العرب دون حروب وصراعات وهو ما يبدو أن المجتمع الإسرائيلى غير مؤهل حتى الآن لتقبله[3].

فالتمييز العنصرى الذى تمارسه إسرائيل ضد العرب يبدو متعمداً ومقصوداً ويدخل فى صميم البنية الأيديولوجية للصهيونية، ويعد من بين أهم أهدافها وأهداف السياسة العليا لقادتها.

وبشهادة الكاتب الإسرائيلى «موشيه بيجلين» والتى جاءت فى كتابه «الثقافة اليهودية» فإن تلك الثقافة مليئة بالتراث العنصرى الذى يحض على كراهية الغير وشن العدوان عليهم، تراث ملىء بأقوال وفتاوى الحاخامات اليهود والذين ينادون بشن الحرب والقتل والدمار ضد غير اليهود، ويصفون كل من هو غير يهودى بصفات لا إنسانية[4].

ويطالب بيجلين الحاخامات بالتعامل مع التراث على هذا الأساس، باعتبار أن التراث اليهودى على مدار التاريخ لم يلتفت لإمكانية وصفه بأنه تراث عنصرى، واكتفى القائمون على إعداد هذا التراث بالعمل على تقوية مصطلحاتهم العنصرية والترويج لها مثلما فعل العديد من دعاة العنصرية من أبناء القوميات الأخرى.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) أمين محمد زكى- شبكة الأخبار العربية- محيط ٧- ١١- ٢٠٠٦م.

وضرب مثالا على ذلك ما جاء فى التراث اليهودى بأن الجزاء الأفضل من غير اليهود يجب أن يكون القتل وهو ما يعنى أن جزاء الطيبين المخالفين من هذه العقيدة هو القتل[1].

محاولات الحاخامات اليهود المعتدلين تغيير هذا التراث باءت بالفشل، وهو ما يؤكد مدى تغلغل الفكر الصهيونى المتطرف داخل المجتمع الإسرائيلى، ومثال على ذلك يأتي باعتراف أحد الحاخامات المعتدلين الذى حاول إقناع تلاميذه بالتعامل بالرأفة مع غير اليهود ليفاجأ فى اليوم التالى بتلاميذه يأتون له بدمية على شكل مواطن عربى وأخذوا يمزقون الدمية بأسلوب مهين تعبيراً عما يؤمنون به.

أى محاولة لتغيير ثقافة التطرف الصهيونية، تواجه بالتهمة الجاهزة وهى معاداة السامية، وهذا ما تعرض له بيجلين نفسه بعد محاولته تنقية الثقافة اليهودية حيث شنت عليه قوى اليمين المتطرف هجوماً ضارياً انتهى باتهامه بمعاداة السامية.

أيديولوجية الحركة الصهيونية نجحت بشكل كبير جداً فى اختراق عقلية أجيال عديدة من الشباب ولعب الأدباء الصهاينة دورا كبيرا فى ذلك فكتب الأدب العبرى فضلاً عن المناهج التعليمية توجه الشباب اليهود إلى احتقار العرب والتقليل من شأنهم، وهى تخلو من الدعوة للتسامح مع العربى باعتباره مواطناً له حقوق المواطنة الكاملة[2].

وتأتى المبالغة فى الاستهتار بالعربى وتحقيره ضمن سياق محاولة تبرير عملية الاجتثاث العربى ورفض إيجاد مجال للحوار بين الطرفين باعتباره عقبة ومصدر إزعاج وباعتباره لصا وقاسيا حتى بالنسبة للقمح الذى يطحنه وبين الأدباء الذين ركزوا على هذه الصورة، الكاتب الإسرائيلى عجنون والذى حصل بفضل كتاباته على جائزة نوبل فى الآداب عام ١٩٦٦ بالرغم من تعصبه وتدنى مستواه الأدبى.

ولا نجد فى الأدب العبرى شخصية عربية تحقق نجاحاً أو حتى تعمل فى مهنة مرموقة فلا نجد من يعمل طبيباً أو مهندساً أو أستاذاً جامعياً أو أديباً، ولا نجد رجل قانون عربيا أو عالم آثار، وحتى بفرض وجودها فهى تظهر أقل من نظرائها من الأجانب أو اليهود[3].

والعربى فيها أيضاً شاهد زور حتى أصبحت شهادة الزور جزءاً من شخصيته وهو قاتل بحيث أصبحت الجريمة طبيعة له وهو غادر متخلف كسول.. ووضع الكاتب بلانكفورت العربى فى مرتبة أدنى إلى الحيوانية منها إلى البشرية، وهو يجيد الجريمة ويحمل عوامل فنائه فى داخله، وهو مهزوم دائماً فى صراعه مع اليهود.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) د. محمد أيوب «ديوان العرب» ٢ مايو ٢٠٠٥- العربى فى الأدب العبرى.

(٣) المرجع السابق.

والعربى فى نظره جندى أمى هزيل مريض على درجة من المبالاة بحيث إنهم لا يهبون للقتال ما لم يكونوا محاصرين من زاوية.

وصور الكتاب الإسرائيلى أرثر كوستلر فى روايته (لصوص فى الليل) الضباط العرب وهم يقاتلون بالسيوف فيطلق اليهود عليهم النار ليتساقطوا كسيقان الحنطة عند الحصاد[1].

وإذا كان هناك بين الكتاب اليهود من حاول الخروج عن الخط التقليدى السائد فى الأدب العبرى من خلال تقديم شخصيات فردية عربية بدلاً من الشخصية النمطية إلا إنهم اعتبروا العربى الإيجابى هو العربى الموالى للصهيونية، ومع ذلك فإنهم يضعونه فى مرتبة ثانوية قياساً للإنسان اليهودى[2].

من هؤلاء يتسحاق شامى الذى وصفه وصفاً خارجياً وجسدياً كما اختار بنيامين تموز شخصيات عربية متدنية الثقافة.

كما شعر بعض الكتاب اليهود بالذنب تجاه العربى فقاموا بكتابة بعض القصص التى يعترفون خلالها، ما ارتكبه اليهود ضد العرب، وتعاطف أحدهم- شامير- مع العربى ضد اليهودى المستغل وذلك من خلال انحيازه لصرخة الكادحين المظلومين بغض النظر عن قوميتهم، كما لم يخف الكاتب- تموز- عن تعاطفه مع عرب القرية الذين طردوا من أراضيهم فى قصة شجرة الزيتون، كما أنه لم يخف نفوره من المهاجرين الجدد الذين استولوا على أراضى العرب وقد جعل شجرة الزيتون رمزاً لعراقة أصحابها، فالعربى عريق فى هذه البلاد، وتضرب جذوره فيها كما تضرب شجرة الزيتون جذورها. وهو يعتبر العرب أبناء البلاد الحقيقيين[3].

هؤلاء الكتاب الذين عارضوا الصهيونية بعد خيبهم أملهم فيها إلا أن أصواتهم هم- وغيرهم- مازالت الأضعف وسط النغمة العنصرية السائدة.

أكثر من باحث أدبى إسرائيلى أمسوا يدركون- فى ضوء أحداث السنوات الأخيرة أن استمرار الاحتلال الإسرائيلى وانعدام أية تسوية سياسية فى الأفق نتيجة لسياسة الحكام الإسرائيليين، يؤديان إلى ازدياد نفوذ العناصر المتطرفة من أمثال كهانا وإلى تفشى الروح الفاشية فى المجتمع.

وأخطر مظاهر العنصرية ليس فى ممارسة الإسرائيليين اليومية أو فى تقاعسهم عن بذل الجهد لوقف سياسة الإبادة التى تمارسها إسرائيل ضد الشعب الفلسطينى قمعاً وتنكيلاً

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

واختلاساً وسرقة ونصباً على ما فى كل ذلك من خطورة لا يستهان بها، ولكن أخطر مظاهر العنصرية هو فى كونها ثقافة، تحدد نمط أو أسلوب حياة المجتمع الإسرائيلى. فلكى يضمن الكيان الإسرائيلى وجوده السياسى الجائر على حساب الشعب الفلسطينى، أرضاً وكياناً ووجوداً أو حقوقاً فإنه أرسى ويرسى ثقافة عنصرية ولكى يجرد مواطنيه من أية هوامش إنسانية بسهولة أكثر وبهدوء أكثر فإنه لا يضع الأغلال التى تكبل إنسانيتهم فى أيديهم أو فى أقدامهم فحسب وإنما يضعها فى «منبت رءوسهم» وعن طريق ذلك تدير الصهيونية، عملية إدراج شعبها لمحركين (بفتح الراء) فى الممارسات الاجتماعية المختلفة فى المواقع المختلفة التى تحددها وكذلك عن طريق وضعهم فى قالب نفسى وثقافى مع ما تتطلبه مهامهم وأدوارهم[1].

يتضح من ذلك أن الوظيفة الأساسية للثقافة فى إسرائيل مشوهة بشكل خطير، وهذا التشويه شامل ومؤثر على المجتمع كله، وهكذا ينشأ نمط معين من الإدراك والتفكير يتولد تلقائياً من مسائل أشبه بالبديهيات المسلم بها (راسخة فى العقل)[2].

وعندما يقول مراقب ثقة: إن المجتمع اليهودى فى إسرائيل غير متجانس تماماً فلا ينقل بذلك الواقع كما هو؟ فإن هذا الوصف لا يستمد مشروعيته الواضحة فقط من الهوة الاجتماعية العميقة ومن الفوارق الكبيرة فى شرائحة الاجتماعية المختلفة.

وإنما يستمده كذلك مما هو قائم من صراع حضارى يخفى وراءه قمعاً حضارياً قاسياً بين الغرب والشرق فى الثقافة اليهودية ذاتها. ولعل الصراع الراهن العنيف الذى تشهده مساحة علم الاجتماع حول ما إذا كانت إسرائيل دولة غربية أم دولة شرقية كاف للتدليل على عدم التجانس الذى نتحدث عنه[3].

ولا يقتصر هذا الصراع على علم الاجتماع دون سائر مضمارات الثقافة اليهودية بل ينسحب على النتاجات الأدبية والفنية التى تسهم بشكل كبير فى تأطير انتماء إسرائيل الحضارى.

ففى هذه النتاجات نجد بداية أن البطل الإشكنازى الأجنبى المتحكم يتمتع بمواصفات تكرس فوقيته تجمع بين القوة والعلم والحنكة فى حين لا يتمتع (البطل) السفاردى والشرقى من المواصفات المذكورة وإنما هو نموذج بدائى ومتخلف ولا يدنو من الحضارة الأمر الذى يبرر دونيته. لذلك فإن الأدب الذى نقرأه فى إسرائيل والفن الذى نشاهده أو نسمعه فيها ليلى إلا أدباً وفناً

(١) شلحت- المرجع السابق.
(٢) المرجع السابق.
(٣) المرجع السابق.

يقومـان على القمع الحضارى لفئات واسـعة يفترض أن تكون مـن مريديهما ناهيك عن موقفهما العنصرى الشوفينى إزاء شخصية العربى عموماً(١).

ففى جميع النتاجات الثقافية دون استثناء تعرض البطل السفاردى- الشرقى- إلى عملية تجريد سلبية- قولبة على صعيدى الشكل والحضور، أما على صعيد المضمون فإن هذا البطل يخجـل من حضارته البدائية ومن أصله «القذر» ولا يعمل ويعيش على الإجرام ضمن منبوذى «العالم السـفلى» فى المهن البسـيطة التى لا يحتاج صاحبها إلى التمتع بذكاء خارق وموهبة وثقافة واسعة (٢).

ومن الواضح أن الأدباء اليهود لم يقدموا صوراً إيجابية حقيقة للعربى، وظلوا أسـرى لنظرية الفراغ السـكانى، والتى اسـتند الكتاب اليهود إليها والتى تزعم أنه خلال الألف أو الألفى عام الماضيـة لم يكن هناك أى وجود فيها- أرض بلا شـعب- ومنهم من زعم أن الحروب الصليبية قضت على الوجود العربى فى فلسطين، وفى إحدى الروايات- الغبية- صورت مؤلفتها- يائيل ديان- فلسطين على أنها صحراء فضاء وأنها فارغة تأكيداً على عدم وجود أية حياة فيها.

وعلى العكس صورت الأعمال الأدبية اليهودية- اليهودى على أنه داعية سلام يمد يده عارضاً السـلام علـى العرب ولكن هؤلاء يرفضـون اليد الممدودة لأن العربى لا يؤمن بالسـلام ولا يحكم العقل، لأنه يفتقد الشفقة وصاحب ضمير مخرب.

هنا كانت دعوة الأدب الصهيونى بعد مفاوضات كامب ديفيد إلى السيطرة الفكرية على العرب لأنها تحقق ما لم تحققه الجيوش دون خسائر مادية أو بشرية.

ولأنه أسـير للفكر الصهيونى وأداة توظيف لخدمة السياسـة لذلك يظل الأدب العبرى مجرد «أدب دعائى فج ومباشر مفتقداً للعناصر الفنية والإبداعية».

الصلة بين المؤسسة الحاكمة والأدب تبدو وثيقة للغاية، وفى وزارة الخارجية مكتب لترجمة الأدب العبرى إلى اللغات الأجنبية. والدولة الإسرائيلية تشرف بنفسها على تسويق الأدب العبرى عالمياً(٣).

هكذا يتم توظيف الأدب لخدمة السياسـة الإسـرائيلية وهو ما كشـفه الشـاعر الفلسطينى محمود درويش بقوله: [ثمة حال من الصراع بين الشعر الفلسطينى والشعر الإسرائيلى، صراع فى اللغة حول من يمتلك المكان واللغة وحول من يسيطر على موضوع المكان أفضل من الآخر، فالصراع قائم.

---

(١) المرجع السابق.
(٢) المرجع السابق.
(٣) الحياة- حوار: محمود درويش- سبتمبر ٢٠٠٥.

ويضيف: عندما أقرأ لشاعر إسرائيلى يتغنى بأرض فلسطين أشعر بأن الصراع بيننا ليس عسكرياً فقط وإنما نحن مدفوعون إلى صراع ثقافى عميق.

ويضيف: هناك شاعر كبير إسرائيلى أحب شعره هو يهدا عميحاى لم يدع مكاناً فى فلسطين التى يسميها أرض إسرائيل- إلا وكتب فيه قصائد وبعضها جميل جداً. وتحرج الشاعر الفلسطينى فهو لم يشعر بأنه محتاج إلى تقديم براهين على حقه بالمكان، وعلاقته بالأرض تلقائية وعفوية ولا تحتاج لأيديولوجية أو تبرير أما الشاعر الإسرائيلى الذى يعرف كيف تم مشروعه وماذا كان قبل إسرائيل ويعرف أن هذا المكان له اسم آخر هو فلسطين يبدو أنه فى حاجة لشحذ كل طاقته الإبداعية من أجل امتلاك المكان، باللغة كجزء من المشروع الاستيطانى وهذه مسألة مخيفة فعلاً من يكتب المكان بشكل أجمل يستحق المكان أكثر من الآخر؟ قد يكون هناك شعب لا شعراء له، فهل يكون من حق الآخر أن يحتله فالجدارة الأدبية لا تعطى حقاً للسلاح أن يملك شرعية. فى إسرائيل يحاولون بالطبع تجريد الشعب الفلسطينى من ثوراته الإبداعية كى يقولوا إنهم جاءوا إلى أرض شعبها غير متحضر وغير متمدن وأنهم يحملون رسالة التحضير والتحديث[1].

كتابات الأدباء والشعراء تعكس مدى الوهم المسيطر على العقلية الإسرائيلية بما فيها عقلية المثقفين أنفسهم.

□□□

(١) محمود درويش- المرجع السابق.